

الخطبة الثامنة عشرة

البُحْرَةُ وَأَثْرُهَا السَّيِّعُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إن الحمد لله نحمه، ونستعينه ونستغفره، ونعود بالله من شرور أنفسنا، وسیئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَتَقُولُوا اللَّهُ حَقٌّ تَقُولُهُ وَلَا مُؤْمِنٌ إِلَّا وَأَنْتُمُ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: 3 / 102]، وقال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا أَنَّاسُ أَتَقُولُوا رَبُّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تَقْسٍ وَجَهَةٍ وَحَقَّ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَتَّ مِنْهَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنَسَاءً وَأَتَقُولُوا اللَّهُ الَّذِي شَاءَ لَوْنَبِهِ، وَالْأَرْجَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رِقَبًا﴾ [النساء: 4 / 1]، وقال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَتَقُولُوا اللَّهُ وَقُولُوا قُولًا سَدِيدًا ٧٠ يُصْلِحُ لَكُمْ أَعْمَلَكُمْ وَيُغْفِرُ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: 33 / 70 - 71]، أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله ، وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلاله، وكل ضلاله في النار.

لقد تنبه كثير من علماء المسلمين لخطورة البدع منذ فجر الإسلام، وذلك لأنّ الرسول الكريم ﷺ حذر منها تحذيراً شديداً في مناسبات كثيرة؛ فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يخطب الناس فيحمد الله ويشتني عليه بما هو أهله ثم يقول: «من يهده الله فلا مضل له، ومن يضل فلا هادي له، وخير الحديث

كتاب الله عز وجل، وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلاله، وكل ضلاله في النار » أخرجه مسلم والنسائي وغيرهما. والبدع في هذا الزمان منتشرة انتشاراً كبيراً خاصة بين عامة الناس، ومن أسباب انتشار البدع اتخاذ بعض الناس رؤوساً جهالاً يقونون بالفتوى والتعليم، ويقولون في دين الله بغير علم، وفي هذا قال ﷺ: «إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً يتزوعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالمٌ اتّخذ الناس رؤوساً جهالاً فسُئلوا فأفتقوا بغير علم فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا» حديث متفق عليه ولفظه للبخاري. وقال ﷺ: «إن من أشراط الساعة أن يلتمس العلم عند الأصاغر» سلسلة الأحاديث الصحيحة (695)، قال ابن المبارك رحمه الله: (الأصاغر): أهل البدع (كتاب الزهد) عبد الله ابن المبارك (ص 21، 381). ولكن هذا لا يعني انعدام وجود القائمين على الحق فقد قال ﷺ: «ولا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين على من ناوأهم، حتى يقاتل آخرهم المسيح الدجال» (سلسلة الأحاديث الصحيحة 1959).

ولكي نجتنب البدع إن شاء الله تعالى يجب أن نسلك الطريق الذي سلكه أصحاب رسول الله ﷺ ونறعف أولاً - ما هي السنة الصحيحة لتباعها، وثانياً - أن نعرف البدع لنجتنبها، وفي هذا قال حذيفة بن اليمان رضي الله عنه: «كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأل عن الشر مخافة أن يدركني» أخرجه الشيخان وغيرهما.

- قال الشاعر:

عْرَفْتُ الشَّرَّ لَا لِلشَّرِّ لَكُنْ لِتَوْقِيهِ وَمَنْ لَمْ يَعْرِفِ الْخَيْرَ مِنَ الشَّرِّ يَقْعُدْ فِيهِ لِذَلِكَ سَأْقُومُ بِشَرْحِ مَعْنَى الْبَدْعَةِ، وَكَيْفَ نَعْرَفُهَا؟ وَمَا هِيَ طَرْقُ اجْتِنَابِهَا؟ إِنْ شَاءَ اللهُ وَبِهِ وَحْدَهُ أَسْتَعِينُ.

- ما البدعة؟ البدعة: اسم هيئة من الابتداع، وهي كل ما أحدث على غير مثال سابق، وستعمل عرفاً في الذم.

تعريف البدعة شرعاً: (هي الطريقة المخترعة في الدين تضاهي الشريعة، يقصد بها التقرب إلى الله، ولم يقم على صحتها دليل شرعي صحيح أصلاً أو وصفاً) الاعتصام - الشاطبي (1/37). أو (طريقة في الدين مخترعة تضاهي السنة يقصد بالسلوك عليها التقرب إلى الله).

واعلم يا أخي المسلم أن من أصول الدين الواجب اعتقادها، ولا يصح إيمان المرء بدوتها، أن الإسلام دين أتقن الله بناءه وأكمله، فمجال عمل الناس فيه هو التطبيق والتنفيذ، والسمع والطاعة، وهذا أمر أدلته كثيرة وظاهرة من القرآن الكريم والأحاديث الصحيحة.

قال الله تبارك وتعالى: ﴿الَّيْوَمَ أَكَلَمْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَمْمَتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيَتُ لَكُمْ إِلَيْسَلَمَ دِينًا﴾ [المائدة: 5/3]، وقال عز وجل: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّقِهُ وَلَا تَنِيُّعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِي﴾ ذالكُمْ وَصَنَعُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَنَقُّونَ﴾ [الأنعام: 6/153]، وقال تبارك وتعالى: ﴿وَمَا أَنْتُمُ الرَّسُولُ فَحُذُّرُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْهُوَا﴾ [الحشر: 59/7]، وآيات أخرى كثيرة في المعنى نفسه.

أما الرسول الكريم ﷺ فقد أخبرنا: أن رسالة الإسلام قد تمت وأنه لا مجال للابداع والزيادة في تعليم الإسلام، حيث قال ﷺ: «ما تركت شيئاً يقربكم إلى الله تبارك وتعالى إلا وأمرتكم به، وما تركت شيئاً يبعدكم عن الله تعالى ويقربكم إلى النار إلا ونهيتك عنده» حديث صحيح أخرجه الإمام الشافعي في (الرسالة).

وقال ﷺ: «ما تركت شيئاً مما أمركم الله به إلا وقد أمرتكم به، ولا شيئاً مما نهاكم عنه إلا ونهيتك عنه» حديث صحيح بمجموعة طرق بداع المتن (ص 14).

وقال ﷺ: «إني قد تركتكم على مثل البيضاء، ليلاها كنهارها، لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك» أخرجه أحمد وغيره، فاحذر يا أخي أن تكون من الهالكين، عافانا الله وإياك من هذا البلاء.

- البدعة في الدين أمر غير مشروع. ومن الأدلة على أن البدعة في الدين أمر غير مشروع:

١- أن التشريع حق لرب العالمين، وليس من حق البشر، ولئن جازت الزيادة في الإسلام جاز النقص، لذلك نهى ﷺ عن الزيادة في الدين حيث قال: «وإذا حدثتكم حديثاً فلا تزيدن على» سلسلة الأحاديث الصحيحة (346).

٢- أن المبتدع نصب نفسه ماضاهياً للشارع الحكيم، والعياذ بالله، لأن الشارع الحكيم وضع الشرائع وألزم الخلق بالالتزام بها حرفياً، وصار سبحانه هو المنفرد بذلك لأنه حكم بين العباد فيما كانوا فيه يختلفون.

وقد قال الإمام مالك رحمه الله: (من ابتدع في الإسلام بداعية يراها حسنة فقد زعم أن محمداً ﷺ خان الرسالة، لأن الله تعالى يقول: ﴿الَّيْوَمَ أَكَلَتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَنْمَتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيَتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٥ / ٣]، فما لم يكن يومئذ دينًا لا يكون اليوم ديناً).

والسعيد الموفق من أحيا السنة ودعا إلى الله عز وجل وخالف ما اعتاد عليه الناس من بدع، وإن ادعوا أن ما هم عليه هو السنة لا سواها، غير مبال بما يرمونه به من التنطع في العمل والتشدد في الدين ما دام يعمل ويطبق كتاب الله وسنة نبيه ﷺ. قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَا أَكَلَ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصَتْ بِمُؤْمِنِينَ﴾

[يوسف: 12 / 103].

٣- إن الرسول ﷺ رد الابداع وأغلق بابه دون استثناء حيث قال ﷺ: «من

أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد» متفق عليه، وقال ﷺ: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد» أخرجه مسلم وغيره، وقال ﷺ: «لكل عمل شرة، ولكل شرة فترة، فمن كانت فترته إلى سنتي فقد اهتدى، ومن كانت فترته إلى غير ذلك فقد هلك» صحيح الترغيب (55).

فكل عمل نعمله من عبادات أو غيرها نريد به التقرب إلى الله سبحانه وتعالى وكسب الثواب يجب أن يكون مطابقاً وموافقاً لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، أما المبتدعون الذين يقولون: لا بأس أن نفعل أو نقول كذا وكذا ما دام فيه ذكر الله وإن لم يأمر به الله سبحانه وتعالى ورسوله ﷺ، فهذا لا يصح لأن الله تبارك وتعالى قد أكمل لنا الدين لكي نعبده سبحانه بما شرّع لا بالأهواء والعادات والبدع.

- كيف تعرف البدعة؟ وقد وضع شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله طريقة أو قانون تعرف به البدعة، حيث قال في كتابه: (العبودية): وجماع الدين أصلان:

- 1- أن لا نعبد إلا الله.

2- ولا نعبد إلا بما شرع، لا نعبد بالبدع (ص 170).

ويقول أيضاً في كتابه (اقتضاء الصراط المستقيم في مخالفة أصحاب الجحيم): فالإعلال في العبادات: أن لا يُشرع منها إلا ما شرّع الله سبحانه وتعالى، والأصل في العادات: أن لا يحضر منها إلا ما حضره الله (269). لذلك فإن العمل حتى يكون صالحًا مقبولاً يقرب إلى الله سبحانه وتعالى، فلا بد من أن يتوفّر فيه شرطان هامان عظيمان:

أولهما: أن يكون صاحبه قد قصد به وجه الله عز وجل.

وثانيهما: أن يكون هذا العمل موافقاً لما شرّعه الله تبارك وتعالى في كتابه، أو بينه رسوله ﷺ في سنته.

فإذا احتل واحد من هذين الشرطين لم يكن العمل صالحًا ولا مقبولاً. أما من قال: إنما الأعمال الصالحة بالنيات الصالحة، فهذا قول غير صحيح، لأن النية وحدها لا تكفي لتصحيح الفعل فلا بد أن ينضم إليها التقييد بالشرع كما أن النية الحسنة لا تجعل الباطل حقًا.

- طوبى للغرباء، وعندما نطبق هذه القواعد على أعمال الناس في هذا الزمان نجد قليلاً من هذه الأعمال تنجو من الإخلال بأحد الشرطين السابقين، مما يجعل تعاليم الإسلام الحقيقة في غربة شديدة في هذا الزمان، وقد أخبرنا بحدوث هذا الصادق المصدوق، رسولنا الكريم ﷺ حين قال: «بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ، فطوبى للغرباء، فقيل: من الغرباء؟ فقال ﷺ: الذين يحيون ما أفسد الناس من سنتي» روى الجزء الأول منه مسلم والترمذى بلفظ قريب منه وقال: حديث حسن صحيح، وقال ﷺ: «إن من ورائكم أيام صبر، للمتمسك فيهن بما أنتم عليه أجر خمسين منكم، قالوا: يا نبى الله منا أو منهم؟ قال: بل منكم» (آخر جه ابن نصر في السنة).

نسأل الله لنا ولكلمأن نكون ممن يحيون ما أفسد الناس من سنته، وأن نكون ممن تمسك بما كان عليه رسولنا الكريم ﷺ وأصحابه رضي عنهم إنه سميع مجيب.

- موقف الصحابة من البدع: قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتكم» وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: «كل بدعة ضلاله، وإن رأها الناس حسنة» (آخر جهما الدارمي بإسناد صحيح).

ولو نظرنا إلى أفعالهم لرأيناها موافقة لأقوالهم، قالوا: «كنا نجلس على باب عبد الله بن مسعود قبل صلاة الغداة» فإذا خرج مشينا معه إلى المسجد، فجاءنا أبو موسى الأشعري ونحن جلوس على باب عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، فقال: «أخرج

إليكم أبو عبد الرحمن بعد؟ قلنا: لا، فجلس معنا حتى خرج، فلما خرج قمنا إليه جمِيعاً، فقال له أبو موسى: يا أبا عبد الرحمن إني رأيت في المسجد آنفأً أمراً أنكرته، ولم أرَ والحمد لله إلا خيراً، قال: فما هو؟ فقال: إن عشت فستراه، قال: رأيت في المسجد قوماً جلساً يتظرون الصلاة، في كل حلقة رجل وفي أيديهم حصى، فيقول: هللو مئة، فيهملون مئة، فيقول: كبروا مئة، فيكبرون مئة، فماذا قلت لهم؟ قال: ما قلت لهم شيئاً انتظار رأيك أو انتظار أمرك، قال: أفلأ أمرتهم أن يعدوا سيئاتهم، وأنا ضامن بأن لا يضيع من حسناتهم شيء، ثم مضى ومشينا معه، حتى أتى حلقة من تلك الحلق فوقف عليهم، فقال: ما هذا الذي أراكم تصنعون؟ قالوا: يا أبا عبد الرحمن حصى نعد به التكبير والتهليل والتسبيح، قال: فعدوا سيئاتكم فأنا ضامن أن لا يضيع من حسناتكم شيء، ويرحكم يا أمّة محمد ما أسرع هلكتكم، هؤلاء صحابة نبيكم ﷺ متوافرون. وهذه ثيابه لم تبلَّ بعد، وآنيته لم تكسر، والذي نفسي بيده إنكم لعلى ملة أهدي من ملة محمد ﷺ أو مفتحوا باب ضلاله، قالوا: والله يا أبا عبد الرحمن ما أردن إلا الخير، قال: وكم من مرید للخير لن يصيبه، إن رسول الله ﷺ حدثنا: «أن قوماً يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم» وأيم الله ما أدرى لعل أكثرهم منكم، ثم تولى عنهم، فقال عمرو بن سلمة: رأينا عامة أولئك الحلق يطاعنونا يوم النهرawan مع الخوارج. أخرجه الدارمي وأبو نعيم بإسناد صحيح.

– أسباب الابداع:

- 1- الجهل بالسنة المطهرة وعلم مصطلح الحديث، بحيث لا يميز بعض الناس بين الحديث الصحيح والضعيف، وطبعاً الضعيف ينقسم إلى ما فوق الأربعين قسماً ونوعاً.
- 2- اتخاذ بعض الناس رؤوساً جهالاً يقونون بالفتوى والتعليم ويقولون في دين الله بغير علم بالأهواء والأراء. قال ﷺ: «إنه سيخرج في أمتي أقوام تتجرى

بهم الأهواء، كما يتجرأ الكلب بصاحبها، ولا يبقى منه عرق ولا مفصل إلا دخله» الترغيب (٤٩)، فلا تتبّع يا أخي هواك أو أهواء المبتدعين، وكن متبعاً لما أمر الله سبحانه وتعالى به، ومتبعاً لسنة نبيه ﷺ، ولا نقبل الفتوى إلا بدليل من كتاب الله أو سنة نبيه ﷺ.

٣- عادات وخرافات لا دليل عليها من القرآن أو السنة الصحيحة، مثل المآتم وبدعة الزار والموالد إلى غيرها من البدع والخرافات.

٤- التقليد الأعمى، واعتقاد العصمة في بعض شيوخ الطرق الصوفية وغيرها، وهم على ملة مبتدعة لا علاقة لها بالإسلام، لأن العصمة لا تكون إلا لنبي ولا تكون لا لمبتدع ولا لغيره.

- أمثلة على بعض البدع المنتشرة في هذا الزمان:

- الاحتفال بيوم الإسراء والمعراج، وهذا أيضاً بدعه وضلاله لا أصل لها من الكتاب ولا السنة ولا من فعل الصحابة رضي الله عنهم ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

- استقبال القادمين من الحج بالموسيقا والغناء في بعض البلدان.

- ومن بدع الصلاة المصادقة بعد السلام مباشرة، ومسح الوجه باليدين بعد الدعاء فهو مما لا أصل له في السنة المطهرة، حيث يقول الإمام النووي رحمه الله: لا يمسح وجهه إلا جاهل.

- التوبيخ ممحوبة عن كل صاحب بدعه حتى يدع بدعته. ومن خطورة البدع:

١- عمل صاحب البدعة مردوّد حيث قال الله تبارك وتعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَيِّكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَلُوا ۝ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسِبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ۝﴾ [الكهف: ١٠٣]

- وقال ﷺ: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد» متفق عليه.
- 2- التوبة عنه ممحوبة ما دام مصراً على بدعته، قال ﷺ: «إن الله حجب التوبة عن كل صاحب بدعة حتى يدع بدعته» حديث صحيح أخر جه الطبراني والترمذى وحسنه.
- 3- صاحب كل بدعة ملعون لقوله ﷺ: «من أحدث فيها حدثاً أو آوى محدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين» أخر جه البخارى ومسلم وغيرهما، والحديث عام انظر فتح البارى (13 / 287).

4- عليه إثم من قلده وعمل بالبدعة التي يعمل بها، لقوله تبارك وتعالى:

﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارُهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَمَنْ أَوْزَارَ الَّذِينَ يُضْلُلُونَهُمْ بِعَيْنِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَرِزُونَ﴾ [النحل: 25].

فسارع يا أخي إلى مراجعة نفسك والتتأكد من جميع العبادات التي تتبعها أنها خالية من البدع المنتشرة هذه الأيام، ويساعد على انتشارها الجهل، ووسائل الإعلام التي أصبحت في كثير من بلاد المسلمين تروج للبدع عافانا الله وإياك من هذا البلاء العظيم.

فلا تبع يا أخي هواك أو أهواء المبتدعين ولكن كن متبعاً فقط لما أمر به الله عز وجل، ومتبعاً لسنة نبيه ﷺ، واحذر أن تكون من المبتدعين أو من المتبعين للبدع، فهذا هو الهلاك بعينه إذ قال ﷺ: «لقد تركتكم على مثل البيضاء (البيضاء: أي الملة والحجۃ الواضحة)، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك» صحيح الترغيب (58). فاحذر يا أخي المسلم أن تكون من الهالكين.

قال رسول الله ﷺ: «ألا إن من كان قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على ثنتين وسبعين ملة، وإن هذه الأمة ستفترق على ثلات وسبعين، ثنتان وسبعون في النار، وواحدة في الجنة، هي ما أنا عليه وأصحابي» صحيح الترغيب (41).

وكمَا ترىاليوم فال المسلمين فرق كثيرة كما تبأ ﷺ، فرقه واحده منهم هي الناجية وهي التي على ما كان عليه الرسول الكريم ﷺ وأصحابه، فسأل الله تبارك وتعالى أن تكون من الفرقة الناجية من النار بفضل الله ورحمته، وتعلم السنن واتبعها في كل عملك وحياتك، وعلمها إخوانك وأهلك فالرسول الكريم ﷺ يقول: «الدال على الخير كفاعله» صحيح الجامع (3399).

وقال ﷺ: «إن الله وملائكته حتى النملة في جحرها والحوت في البحر، ليصلُّون على معلم الناس الخير» صحيح الجامع (1838).

وهنا يجب أن أنبه على نقطة مهمة ليحذر منها المسلم وهي: دور أجهزة الإعلام من تلفزيون ومجلات في الترويج للبدع إما جهلاً أو عمداً، وبعض القنوات يستضيفون أنساً ينشرون أحاديث كاذبة أو غير صحيحة حتى تصبح لديهم شعبية أو قبول عند الناس والعياذ بالله.

فتقرب يا أخي إلى الله عز وجل بتجنب البدع والمحرمات واتبع أوامر الله وسنة نبيه ﷺ، واسأله أن يقبل منك عملك. ولا تخف من المخالفين أو المبتدعين وتدرك أننا سنجتمع عند الله تعالى وأننا سنقف بين يديه سبحانه.

قال عليه الصلاة والسلام: «من دعا إلى هدى، كان له من الأجر مثل أجور من تبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً، ومن دعا إلى ضلاله، كان عليه مثل آثام من تبعه، لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً» صحيح الجامع (6234).

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال ﷺ: خط لنا رسول الله ﷺ يوماً خططاً ثم قال: هذا سبيل الله، ثم خط خطوطاً عن يمينه وعن شماله ثم قال ﷺ: «هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعوك إليه، ثم تلا قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمٌ فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَنْبِغُوا السُّبُلَ فَتُنَقَّرَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَنْكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَنَقَّونَ﴾ [الأنعام: 6 / 153]، وعن مجاهد (وَلَا تَنْبِغُوا السُّبُلَ» قال: البدع

والشبهات. وعن عبد الله بن الديلمى قال: بلغني أن أول ذهاب الدين: ترك السنة، يذهب الدين سنة سنّة، كما يذهب الليل قوة قوة وعن الأوزاعي عن حسان قال: «ما ابتدع قوم بدعة في دينهم إلا نزع الله من سنته مثلها ثم لا يعيدها إليهم إلى يوم القيمة»، وعن أبي قلابة قال: «ما ابتدع رجل بدعة إلا استحل السيف» وقال ابن مسعود رضي الله عنه، «اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتكم»، وقال ابن عباس رضي الله عنهمما لمن سأله الوصية: «عليك بتقوى الله والاستقامة، اتبع ولا تبتدع»، وقال ابن عمر رضي الله عنهمما: «كل بدعة ضلاله وإن رأها الناس حسنة»، روى هذه الأخبار والآثار الإمام الدارمي في سنته، وفي سنن أبي داود عن حذيفة قال: «كل عبادة لا يتبعها أصحاب رسول الله ﷺ فلا تبعدوها، فإن الأول لم يدع للأخر مقالاً»، وقال عمر بن عبدالعزيز: «أوصيكم بتقوى الله والاقتصاد في أوامره واتباع سنة رسوله ﷺ، وترك ما أحدث المحدثون بعد» رواه الدارمي أيضًا.

وروى نوح الجامع عن أبي حنيفة أنه قال: «عليك بالآثار وطريقة السلف، وإياك وكل محدثة فإنها بدعة» ذكره ابن قدامة في كتابه: ذم التأويل. وقال ابن الماجشون: سمعت مالكًا يقول: «من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة فقد زعم أن محمدًا ﷺ خان الرسالة، لأن الله تعالى يقول: ﴿الْيَوْمَ أَكَلَمْتُ لَكُمْ دِينَكُم﴾ [المائدة: 5 / 3]، فما لم يكن يومئذ دينًا لا يكون اليوم دينًا». وقال الشافعي رحمه الله: «من استحسن - يعني بدعة - فقد شرّع».

وقال أحمد بن حنبل رحمه الله: «أصول السنة عندنا : التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ والاقتداء بهم وترك البدع، وكل بدعة فهي ضلاله».

فالكتاب والسنة والآثار والأخبار تفيد الناظر فيها بتبصر وتدبر أن كل بدعة في الدين، صغيرة أو كبيرة في الأصول أو الفروع، في العقائد أو العبادات أو المعاملات فعلية أو قولية أو تركيبة، فهي ضلاله، وصاحبها مؤاخذ معاقب عليها في

النار، وبدعة مردودة عليه غير مقبولة منه وذلك لقوله تعالى: ﴿الَّيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِيَنَكُمْ﴾ [المائدة: ٣ / ٥]، وفي الحديث: «ما تركت من شيء يقربكم إلى الله إلا وقد حدثكم به، وما من شيء يبعدكم عن النار إلا وقد حدثكم به» رواه الطبراني، وفي رواية: «تركتكم على البيضاء، ليها كنهاها، لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك».

فحذار حذار إخواني: أن تتبعوا قول من يقولون باستحسان البدع في الدين أو بتقسيمها، فإنما مثلهم في فهم كلام الله سبحانه ورسوله ﷺ: ﴿كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا إِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا إِيمَانَ اللَّهِ﴾ [الجمعة: ٦٢ / ٥]، لا تتبعوهم فتكونوا كالذين سفه الله تعالى أحلامهم فقال فيهم: ﴿أَنْخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَنَهُمْ أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [التوبه: ٩ / ٣١]، فسرها النبي ﷺ بقوله: «ما صلوا لهم صلاة ولا صاموا لهم يوماً، ولكنهم أطاعوهم في كل ما قالوه، فتلك كانت ربوبيتهم إياهم» نسأل الله أن لا يجعلنا وإياكم منهم.

مقتبسة مع تصرف قليل من مقدمة كتاب (السنن والمبتدعات) تأليف الشيخ محمد بن أحمد بن عبد السلام خضر الشقيري -مطبعة دار الريان للتراث.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين
والصلوة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه وسلم

